من آرثر إلى هيلينا

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: من آرثر إلى هيلينا

اسم المؤلف: ضحى التلاتي

التدقيق اللغوي: محمود البكري

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٦٢٥٥ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٤١٠-٧-٣




ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية


01020439639


massar.pub1@gmail.com

من آرثر إلى هيلينا





إِهْدَاء

إلى كل مَن يُحارب ظُلمة شهواته

مقدمة

هذه الرواية جدلية فلسفية بعض الشيء، تتمركز في المقام الأول حول أهمية وجود الأخلاق في المجتمع، وإن فُقدت، ينهار المجتمع

نصيحة

يفضّل إذا كنت تقرأ هذه الرواية الجدلية، اقرأها مع موسيقى مسلسل "العهد" (الكلام المباح)

الفصل الأول

قصر وحيد قائم بمهابة وسط الصحراء الشاسعة الخالية كأن يتحدى صاحبه الوحدة.

من بين كل حجرات القصر هناك دائمًا حجرة واحدة لا يُسمح لكل ساكنيها بالدخول لها، وهذا هو الحال في قصرنا الضخم.

المختلف هنا أنه يوجد سبع حجرات_من أصل ثلاثة وعشرين حجرة_ لا يُسمح لكل ساكني القصر بالدخول لهم.

الغريب أنه يُمكنك الدخول لهم في حالات متفردة، ولا حتى نعلم شروط هذه الحالات.

مكتوبٌ على كل فرد من السكان أنه بمجرد دخوله لهم

سواء برخصة أو بدونها يتم ترحيله من القصر على الفور.

وها في ليلة يسقط ضوء الشمس بها بوهج على نخيل القصر الطويل حتى وضح ظلّهم على أرضية الحديقة، طرقة ممتدة من بوابة القصر الخارجية حتى الداخل، وعلى جانبيها النخيل، أسراب من الطيور لا حصر لها تغرد بصوت رقيق وهادئ، يحاوط كل ذلك الجمال أسوار شاهقة أعلاها أسلاك شائكة.

يوجد بداخل تلك الحديقة الشاسعة كل ما يوجد بالبرية.. الكثير والكثير من شتى أنواع الحيوانات والطيور والثديات يعيشون بتناغم مع البشر الموجودين بالقصر غير مؤذيين لهم ماعدا بضع حيّات شرسة أو بالتحديد سبع حيّات يلتفون حول فتاة بالقصر؛ عقابًا لها على إثم ارتكبته سابقًا.

إذا اقتربت من الباب الداخلي قليلًا، ستقابل بهوًا عظيمًا،

وإذا فتحت إحدى الغرف الموجودة في الركن اليميني للبهو، ستجد ساكني القصر متراصون حول مائدة ضخمة وكأنهم في اجتماع مهيب، ولكن إذا اقتربت أكثر ستجدهم يتناولون فطورهم بصمت، وانتظام شديدين.

يتبادلون النظرات بينهم ثم ينظرون خلسة إلى مقدمة المائدة.. أو بالأخص ناحية "

يعقوب" _رب القصر_

كان "يعقوب" مهيب الهيئة، بشوش الوجه، ولطيف الحديث، لديه لحية وشارب خشنان بيضاوان، وكان مرتديًا عباءة بيضاء اللون فوقها قفطان بنيّ.

وإذ فجأةً تأتي صرخات مُتتاليةً من آخر المائدة لامرأتين شابتين يحملان في رحمها أطفالًا، وها هي لحظة الانطلاق لحياة جديدة.

فوضى في كل مكان، الجميع يركض ناحية الامرأتين،

وهناك في أحد الأركان تقف امرأة مسمّاه بال "داية" منتظرة حتى يأذن لها "يعقوب" بالتدخل.

وبعد مرور أربع ساعات من الترقب المميت، تخرج ال"داية" من إحدى الغرفات وعلى يديها ثلاثة أطفال أحدهما ولد أسمر اللون ذو شعر أسود، والأخرتين فتاتين توأم إحداهم بيضاء البشرة ذات شعر أحمر اللون والأخرى شقراء.

أخذهم "يعقوب من ال"داية"، وحملهم بين يديه القويتين، ونزل برأسه؛ ليقبلهم من وجنتيهم ثم أمر بإقامة حفل ضخم؛ احتفالًا بهؤلاء الصغار بعد أن أعلن اسماءهم، وكان من نصيب الولد "آرثر"، ومن نصيب الفتاة الشقراء "ماجي"، ومن نصيب الفتاة ذات الشعر الأحمر "هيلينا".

ثم على الفور أخبر "يعقوب" ال"داية" أن تعتني بالامرأتين مدة أقصاها ثلاثة أيام، وبعدها يعودا أدراجهما خارج

القصر الذي أقيما به بعد أن صدر قرار ترحيلهما من القصر من قبل "يعقوب".

وبين كل هذه الاحتفاءات بالأطفال الثلاث كانت هناك فتاة تدعى "آنا" شقراء، تلتف حول خصلات شعرها السبع حيّات السامات الشرسات تقف منبوذة من الجميع في ركن بعيدة مستاءة من صخب الجمع متعجبة من كل هذه الاحتفاءات بهؤلاء الصغار ثم انصرفت غاضبة في الحال إلى غرفتها في البدروم بعد أن حاول أخيها المدعو بـ"كلارك" الاقتراب منها، وكان قوي البنية له عينان بارزتان من وجهه بشكل يخيف الناظر إليه ذا عضلات صدر ضخمة وابتسامة ترتسم على شفتيه غير مريحة للغير.

بعد أن أعطى "يعقوب" كل فرد مهامه الواجب تنفيذها؛ استعدادًا للحفل غدًا، أمرهم بالانصراف والبدء على تنفيذ المهام في الحال.

وبينما كان ينصرف الجمع كان يحملق "كلارك" في عيني "يعقوب" مبتسماً نفس ابتسامته غير المريحة ثم انصرف.

ها من يعلق الزينة في أرجاء القصر، وها من تصنع الكعك، وها من يلتفون حول الأطفال ينشدون بعض الأناشيد المطربة، وها هو "يعقوب" يقف في المنتصف يجول بعينيه على كل فرد يراقب ما يحدث بصمت، ويتجوّل هنا وهناك يتمم على تنفيذ المهامات بإتقان.

ثم انصرف بعد دقائق من مراقبته للناس حوله إلى غرفته الشاسعة المتمركزة وسط القصر في الطابق العلوي.

كانت غرفته ذا حوائط شاهقة وسقف عالٍ تزينه الكثير من اللوحات الفنية والتي إذا دققت بها ستتعرف من خلالها على تاريخ القصر ومن وُجِد به، كان أيضًا يملؤها الثراء الفاحش.. الكثير والكثير من الذهب والأحجار الكريمة، كانت مرتبة للحد الذي يجعلك تظن لوهلة بأن صاحبها

مصاب بوسواس التنظيم!

وبينما الكل منغمس في عمله، دق جرس القصر، فأسرعت إحدى الجواري تفتح، فدخل رجل وهن يرتدي زي رسمي ذو شعر رمادي دلالة على شيبه، يدعو "كيفن"، ويحمل الكثير من الحقائب التى تحوي بداخلها حلويات.

وعلى يمين ويسار غرفة "يعقوب" تقع غرفتي الوالداتين، كانت الغرفة اليسرى من نصيب والدة "آرثر"، والغرفة اليمنى من نصيب والدة "ماجي" و"هيلينا"، وظلّت الجواري تدخلن وتخرجن منهما يتناولن مشروبًا ساخنًا لزجًا أصفر اللون صُنع خصيصًا لهما بعد ولادتهما.

أما بالبدروم كانت تجلس "آنا" أمام مرآتها، دافنة رأسها بين أرجلها، تبكي بصوت مخفوق بينما اثنتان من حيّاتها يتسامران مع بعضهما:

_ أريتٍ يا راسيل؟ أريتِ كم الصخب والاحتفاء بهؤلاء

الأطفال الصغار؟

= غريب ذلك الرجل، أصنع لكِ احتفاءًا كهذا يا "آنا"؟

_ لو كان فعل ذلك، لكان نصفها على أخيها.

أمسكت "آنا" إحدى غويشاتها، ورمتها ناحية مرآتها بعنف حتى تشققت قائلةً بغضب:

"اخرسا.. اخرسن جميعًا، لو أستطع أن أخلعكن من رأسي، لفعلت في الحال، أنا مستاءة منكن ومستاءة من الجميع."

قاطعتها الحيّة "راسيل" قائلةً:

_ نحن نغار عليكِ من الجميع يا آنا، أليس كذلك يا ري؟

= بالطبع! نحن أقرب لكِ من أي فرد داخل هذا القصر الجائر.

فنظرت لهما بيأس قائلةً:

ـ نعم، جائر لعين! حتى مَن يدّعي المناصفة جائر.. ذلكم المنافق اللعِين.

ثم ساد القليل من الصمت الذي اقتطعه دق باب البدروم مُناديةً على "آنا" إحدى الجاريات؛ لتتلقى طعامها.

ذهبت "آنا" تفتح الباب الذي ملأه الكثير من شبكات العنكبوت؛ حيث لم يهتم أحد بتنظيفه، وأخذت طعامها ثم أغلقته مرة أخرى.

فـ "آنا" منذ أن اغتُصِبت من قبل أخيها "كلارك" وهي منبوذة من جميع ساكني القصر، وتم معاقبتها بنفيها إلى البدروم، وتحول خصلات شعرها إلى حيّات سامات تأذي كل من في القصر.

السبب في عدم عقاب أخيها لم يعلمه أحد، وتسبب ذلك في اعتقاد "آنا" بأنها ضحية مجني عليها، وكرهها المستمر لكل ساكني القصر وبالأخص "يعقوب" الذي ناصف

أخيها عليها.

وها هي إحدى الجاريات تدخل غرفة "يعقوب" حاملة على يديها الرقيقتين الطفل الرضيع "آرثر" ثم أخذه منها "يعقوب"، وأمرها أن تتركهما وحدهما وتخرج.

ظلّ "يعقوب" يحدّق في الطفل نظرات لطف وحنية تارة ونظرات غضب تارة ثم أردف:

_ أتعلم يا آرثر كم تمنيت أن تكون من خليفتي ولكن ليس للرب أن يتزاوج أحد عباده!

أتعلم أن لا أحدٌ في القصر لم يقام له حفلٌ من قبل سواك؟

فالحفل ذلك؛ تكريماً لك فقط..

لطالما وددت أن أكسر قواعد القصر في ترحيل ساكنيهم بعد دخولهم إحدى الغرف السبع؛ من أجل والدتك التي هِمت بها، ولِمَ لا؟

فقد كسرته من قبل؛ من أجل كلارك اللعين

ثم صمت برهة، واستأنف قائلًا:

_ لا يجوز للرب أن يرتكب ما حرّم يا يعقوب، وإن فعل، فالتكرار مهلكٌ.

يحمل الرب أقراطًا من القواعد لعباده؛ كي يسيروا على خطاها، أما أنت يا يعقوب فقد كسرتها.

ثم قاطع نفسه، وأردف:

_ ولكن ما يضير العباد إن أخطأ الرب؟

لا لا يا يعقوب فقد ارتكبت ذنبًا لا يُغتفر، لقد نصفت الباطل على الحق، وانتهزت جهالة عبدتك.

لكن لماذا كل ذلك اللوم؟ فالإنسان مخطئ.

لا تنسى يا يعقوب بأنك لست إنسانًا عاديًّا!

آه، ويحك يا يعقوب، الكثير والكثير من التذبذب والتشتت، فماذا تفعل البرية إن كان عائلهم مترددًا!

ثم ضغط بيديه على يد كرسيه الضخم المرصع بالياقوت، وملّس شعر "آرثر"، وقبّل وجنته الصغيرة، ونادى الجارية؛ كي تتلقاه، وأمرها أن تعتني به جيّدًا وإلا طردها.

ثم اتجه ناحية شاشته السوداء السحرية التي يراقب من خلالها كل فرد بالقصر دون علمه، وقام بتشغيلها، وشرع يتابع كل من في القصر.

ثم توقف عند أحد أركان الشاشة محملقًا بها بتركيز؛ كي يرا من ذا الذي يجرؤ على زيارة "آنا" بالقدرة ثم أيقن أنه "كلارك"، فاهتز "يعقوب" الضخم المهيب؛ غضبًا قائلًا:

_ ليتني أتقن عقابك يا كلارك.

وها هو "كلارك" يحاول الاقتراب من "آنا"، فتهاجمه حيّاتها بعنف، وتنظر له "آنا" بالكثير من الغضب والنفور، ويبادلها "كلارك" نظرات باردة مبتسمًا بخبث قائلًا:

_ أتعتقدين أني لو ارتكبت ما فعلت ثانية، سأُعاقب؟

= ويحك! وتبًّا لذلكم المنافق.

_ ربما تتجرأين؛ اعتقادًا بأن حيّاتك ستحميكي لكن يا آنا لا يمكنها أذية يعقوب، ويعقوب لا يجرؤ على عقابي.

= آهٍ لو أعرف ما السبب

_ لا يهم

فنظرت له "آنا" بانزعاج آمرة حيّتها المفضلة "راسيل" بهجومه حتى خرج مسرعًا من الغرفة.

وبينما كان يغلق الباب بهدوء حتى لا يراه أحد، كان "يعقوب" يقف خلفه على بُعد مسافة مناسبة من رؤيته ينظر له بحدة، وحينما التفت "كلارك" ورأى "يعقوب" توتر من المفاجأة ثم اقترب منه قائلًا:

_ أتريد مني شيئًا؟

قالها لاستفزاز مصاحبة لابتسامة غير مريحة، ثم رد عليه "يعقوب" قائلًا:

_ لا تعتقد بأن لعبتك ستدوم يا كلارك.

= أعتقد يا يعقوب بأني أمسك بزمام اللعبة، فأنا من يقرر متى ستنتهي.

فوبخه "يعقوب" على جرأته ذلك، وانصرف منزعجًا منه.

أما في الغرفة التي تقع من الجانب الأيسر بجانب غرفة "يعقوب"، تدخل الجارية إلى والدة "آرثر" وهى تحمله بين ذراعيها، فتسألها قائلة:

_ ماذا فعل يعقوب معه؟

= لا أعلم يا سيدتي، لقد أمرني بتركهما وحدهما.

_ حسنًا، يُمكنكِ الانصراف.

ثم التفتت إلى "آرثر"، وأطالت النظر إليه قائلة:

_ آهٍ يا بُني لو تكن علّة في رجوعي القصر مرة أخرى، آهٍ

لو تعدني للجنة ثانية.

إنّي وهنة يا آرثر، ولا حول لي إلا به، فالمحبّ لا يأمن إلا بحبيبه وإن كان بينهما السبع سماوات.

ليته عبدًا وليس سيّدًا، فإنما لا يزيّن الحب ألقابًا بل أطيافًا من النور.

أو ليتني كنت أنا إحدى الحوريات، فلا يُسمح للخراف الحب من السباع.

ثم وضعته بين ذراعيها؛ كي ترضعه من حليب ثديها، وبدأت تربّط على كتفه.

ربما تود أن تتعرف على ساكني القصر الآن، فهناك قومًا من الجواري والجاريات مرتدون كلهم أزياء متداخلة بين الأبيض والأخضر، يخضعن جميعًا لأوامر "يعقوب" لا يرفضون له طلبًا، ويخدمون بقية ساكني القصر بحب وسكينة.

وهناك من يسكن القصر من أناس عاديين يعبدون "يعقوب" بتفانٍ وإخلاص، وبالتأكيد ماعدا "آنا" و"كلارك".

وبالطبع هناك وهنا رب القصر.. "يعقوب".

الفصل الثاني

في الحديقة الشاسعة، الزهور متفتحة، والطيور تحلق هنا وهناك، نسمات العليل تداعب كل من يقف في الشرفة وكأن الطبيعة تتأهب لاستقبال الصغار الثلاث.

تُدق الطبول، وتزغرد الجاريات؛ احتفاءًا بهم، ويقف "يعقوب" فرحًا بالصغار وبالأخص بـ"آرثر"، تسير مراسم الاحتفاء بسلاسة وهدوء ماعدا عند "آنا"، فكادت أن تفر الدموع من عينيها ولولا الزحام لأشفق عليها الجميع.

تبارك كلا من الجاريات وكل من في القصر للوالدتين، وحينما جاء دور "آنا" أبت المباركة، فلعنها "يعقوب" ولعن كل من يناصفها، وقام بطردها خارج القصر حيث الفوضى والقذارة.

استكمل "يعقوب" مراسم الاحتفاء مع رعيته حتى انتهوا منها، وقد غرُبت الشمس، وخلد كل من في القصر إلى النوم عدا الجاريات ظللن يحرسن ساكني القصر طوال نيامهم.

وها هي "آنا" تخرج من القصر هائمة في الشوارع لا تعرف مسارها؛ فهذه أول مرة تخرج من القصر فيها.

الكثير والكثير من الكائنات الغريبة المفزعة التي لا تعرف حتى أنواعها.

عالَم مظلم مخيف يحوي الكثير من الفجاجة والفظاظة.

أين أنا؟

وإلى أين تصطحبني أقدامي؟

كيف النجاة؟

كل هذه كانت تساؤلات تجول بخاطر "آنا" المسكينة.

ثم أخيرًا اصطدمت بكوخ قذر من الطين المشوب

بالحشائش، فقررت أن تسكنه؛ فلا تملك خيارًا آخر، وكيف الاختيار للعيّل؟

وبعد أن استقرت به، جاءها رجل عريض مخيف ذو قرون حمراء ووجه أسمر اللون، ألفته حيّاتها منذ اللمحة الأولى، وألقى عليها التحيّة قائلًا:

_ عمتِ مساءًا، آنستي!

فردت عليه في فزع قائلة:

_ السلام عليك!

فعقد ما بين حاجبيه سائلًا إياها:

_ ألستِ من هنا؟

= نعم يا سيدي.

_ غريب!

= ما الغريب؟

_ تخبرني هيئتك بأنك من أهل الأرض.

= كيف؟

_ لون بشرتك.. أنيابك وما إلى ذلك.

= ماذا؟ أنيابي!

ثم ظلت تجري صائحة في كل مكان باكية إلى أن توقفت عند بحيرة صغيرة قد تهالكت من كثرة القمامة، وحينما رأت ظلها في البحيرة، انهارت من البكاء كطفل رضيع نزل من رحم أمه للتو.

فإذا بلونها يتحول من الأبيض للأسود الغميق، وإذا بتبديل أسنانها الصغيرة الرقيقة لأنياب بشعة المنظر.

ظلّت تبكي وظلّت المارة تحملق فيها إلى أن لحقها الرجل وهو مندهش من ردة الفعل، وسألها ثانية قائلًا:

_ ألست من هنا؟

= أخبرتك لا.

_ إذًا من أين أنت؟

= من القصر

_ وماذا أخرجك لتلك الظلمة؟

= لُعنت!

_ وآسفاه!

= وماذا عنك يا سيدي؟

_ من أهل الأرض.

ثم صمت برهة، وأردف:

_ يمكنك أن تقصّي عليّ حكايتك إن شئت.

ثم أطال النظر إليها كأن ينتظر إجابة "نعم"، فقاطعته قائلة:

يمكننا الرجوع إلى الكوخ، وسأحكي لك في طريق

العودة.

ظلّت تحكي له، تغضب تارة وتنظر له بيأس تارة أخرى، وكانت تشتد الظلمة تارة وتمطر تارة أخرى كأن تواسيها الأرض.

وظلّا هكذا حتى وصلا الكوخ النتن الصغير.

ثم سألته بتعجب قائلة:

_ ماذا تأكلون هنا؟

فضحك من انتقال الحديث المفاجئ هذا ثم أجابها قائلًا:

_ نصطاد الحيوانات البرية ثم نأكلها نيئة.

فانعقد حاجبيها اشمئزازًا من قزازة ما سمعته.

ثم تساءلت قائلة:

_ وأين تلك الحيوانات؟

فأجابها قائلًا:

_ ننتظر حتى يأتي الفجر قبل طلوع الشمس، وننهض باحثين عن حيوانات نطصادها في البرية.

= ألا تصطادونها صباحًا؟

ثم قاطعها متسرعًا:

_ لا! بالطبع لا!

= لماذا؟

_ نحن نخرج ونتجول في الأزقة ليلًا فقط، وإن خرجنا صباحًا، نلفّ وجوهنا بقطع من القماش.

= ولِمَ كل ذلك؟

_ ضوء الشمس يحرقنا.

= ماذا؟ وأنا أيضًا؟

_ نعم، آنستي.

ثم سألها مستعجبًا:

ـ أكل ما تريدين أن تأكلي؟

= لم أفهم قصدك.

ـ ينبغي عليك أن تنتقمي؛ فلذّة الانتقام تجعل القلب منتشيًا.

فسرحة "آنا" قليلًا ثم ابتسمت قائلة:

ـ ولكن كيف؟

= سأخبرك في الموعد المناسب.

وها يجلس "يعقوب" على كرسيه يرتجف غضبًا، ويصيح في وجه "كلارك" قائلًا:

ـ إن ارتكبت ما ارتكبته سابقًا مع آنا، فـ...

فقاطعه "كلارك" سريعًا قائلًا:

ـ ماذا؟ ستطردني؟ أنت لا تجرؤ حتى على توبيخي يا يعقوب.

= أنا لست يعقوب، أنا سيدك يا أحمق.

_ لا يهم، ما يهمني حقًا هو أني أمسك بزمام القصر حتى وإن خلف الستار.

فسكت "يعقوب" قليلًا ثم أمر "كلارك" بالانصراف قبل أن يرتكب ذنبًا معه.

مرّ ثلاثة أيام على وضع الأطفال الصغار، والطبيعة صامتة، والطيور تغرد بلحن حزين، الأطفال يصرخون بشدة كأن يدروب بأن موعد ترحيل أمهاتهم خارج القصر قد حان.

ها هي كل أم تودع صغارها قبل الوداع الأخير، وها هو "يعقوب" يقف جامد الهيئة ليّن القلب تجاه والدة "آرثر"، لكنها القواعد يا "يعقوب".. تبًّا للقواعد وتبًّا للإلاهية!

ينظر لهما "كيف" حارس القصر بعطف شديد ثم قام بفتح البوابة الشاهقة على مصراعيها بعد أن أمره "يعقوب"، فظهر

منها عالَم مهيب على المرء.

نظرا الوالدتان إلى أطفالهما النظرة الأخيرة ثم انصرفا بهدوء.

وفي ذات اليوم الذي خرج فيه الوالدتان صباحًا، صُدر مساءًا قرار بإتاحة دخول فردين من الغرف السبعة المحرمة.. كانا فتاة ذات واحد وعشرين عامًا، وفتى ذو أربعة وعشرين عامًا، دخلا سويًّا غرفة مكتوب فوقها "سيسو"، وتم غلق الباب.

خرجا بعد نصف ساعة على وجوههم علامات مختلطة من الانتشاء والاندهاش والخجل.

وكالعادة كان المتوقع أن يصدر قرار ترحيلهم من القصر بعد إعطائهم مهلة ثلاثة أيام من دخولهم إحدى الغرف المحرمة.

الفصل الثالث

لقد أتمّ كلًّا من "آرثر"، و"هيلينا"، و"ماجي" عامهم الحادي عشر.

أحد عشر عامًا مرّوا بالكثير من المداعبة والمشاكسة بينهم.

وها هو "آرثر" يجلس على منضدة صغيرة بحذاء "يعقوب" أمامهم كراسة صغيرة وقلم رصاص، يعلّمه "يعقوب" الحروف والأسماء والأفعال، فقد آن الأوان؛ كي يتلقى "آرثر" بعضًا من علم "يعقوب" الواسع.

وكان هذا القرار فيه بعض من التحيّز؛ فلم يسبق لأحد أن لقّنه "يعقوب" من علمه، وتلك كانت المرة الأولى في تاريخ القصر التي أنشأت الكثير من الغيرة والحقد بين بقية

الساكنين.

انتهى "آرثر" من درسه ذلك اليوم، وذهب يلعب مع "هيلينا" و"ماجي".

كانا الفتاتان يتأرجحان بالأرجوحة التي توجد بأحد أركان الحديقة.

صاروا الثلاث صغار يلعبون ويمرحون طوال النهار، وبينما كان اللعب على أشده، استأذنت منهما "ماجي"؛ كي تذهب إلى دورة المياه.

ظلّ "آرثر" و"هيلينا" يتبادلان النظرات خلسة حتى اقتطع "آرثر" ذلك الصمت قائلًا:

_ أتعلمين يا هيلينا أن يعقوب فطن جدًا؟

فعقدت حاجبيها قائلة:

= ماذا تعني كلمة فطن؟

_ آااه، أقصد أنه كثير الدهاء.

ثم ضحكت وعقدت حاجبيها ثانية، وأردفت:

_ وماذا تعني كلمة الدهاء هي الأخرى؟

فابتسم "آرثر قائلًا:

_ أعني أن لديه من المعرفة الكثير والكثير.

ثم قاطعها سريعًا قائلًا:

_ لا تخبريني بأنك لا تعرفي كلمة المعرفة أيضًا.

فضحكت "هيلينا" بصوت عالٍ قائلة:

_ لا، فتلك الكلمة أعرفها، تعني أنه لديه الكثير من المعلومات، أليس كذلك؟

= نعم.

ثم ساد صمت بينهما ثانية حتى اقتطعته تلك المرة "هيلينا" قائلة:

_ كنت أود يا آرثر أن أكون مثلك.

= كيف؟

_ أشعر بأن يعقوب يميزك على بقية من في القصر.

فأمال برأسه خجلًا، وظلّ ينظر إلى الأرض، ثم أردفت "هيلينا" بحماس:

_ أتمانع إن علمتني ما أخذته من يعقوب؟

= بالطبع لا يا هيلينا.. ممم، كيف نبدأ.. فكر فكر يا آرثر، حسنًا، يمكنني أن أعلمك الحروف الآن ثم...

_ ثم ماذا؟

= دعيني أفكر قليلًا.

حسنًا، وجدتها.. يمكنني أن أعلمك الحروف الأن ثم أرسل إليك خطابات سرًّا فيها معاني الكلمات التي أدرسها لكن لا تخبري أحدًا حتى ماجي لربما يطرنا يعقوب خارج

القرص وأنا أخشى ما في الخارج يا هيلينا كثيرًا.

- بالطبع يا آرثر لن أخبر أحدًا، هذا سرّ، وعلمتني جاريتي بألا أفتش سرًّا.

فضحك "آرثر" ثم اصطحبها من يديها الرقيقتين، ودخلا غرفة "آرثر"، وأخرج "آرثر" دفترًا صغيرًا وقلمًا ثم أمسك بيد "هيلينا"، وشرع يعلمها نطق وكتابة الحروف، واتفقا على أن يبعث لها بخطاب تلك الليلة بعد منام من في القصر يخبرها بما تعلّم من كلمات اليوم في درسه مع يعقوب بشرط أن تبعث له هي الأخرى بواحد آخر.

الساعة الثانية عشر منتصف الليل ومن في القصر نيام، نهض "آرثر" من سريره ثم جلس على كرسي مكتبه، وأخرج الدفتر من درجه الصغير، وشرع يكتب بأنامله الصغيرة ذوي الحادية عشر عمرًا إلى "هيلينا":

"حبيبتي هيلينا،

سامحيني إن أفزعتك تلك الكلمة لكن علمت أنها تقال لمن يأمن الإنسان له، وفي الحقيقة أنا أأمن لك كثيرًا.

تعلّمت اليوم كلمة "وطن"، وعلمت أنه مكان يستقر فيه الإنسان حينما يشعر أو لا يشعر، وأردت إخبارك بأنك وطني وحبيبتي.

تحياتي"

خرج "آرثر" من غرفته، وقام بوضع الخطاب تحت المنضدة التي تقع في نص البهو -حيث أنهما اتفقا على ذلك المكان- ثم أسرع يهرول إلى غرفته قبل أن يراه أحد.

رأته "هيلينا" من ثقب باب غرفتها، فنزلت السلالم، وأخذت الخطاب، وأسرعت مهرولة هي الأخرى إلى غرفتها.

دخلت "هيلينا" غرفتها، وجلست على أرضية الغرفة، وعندما فتحت الخطاب، كانت تقرأه حرفًا حرفًا كالطفل

الذي لازال يتعلم القراءة.

لو كانت السعادة طائرًا، لرفرف محلقًا بين جدران قلبها حينما قرأت الخطاب.

كانت السعادة تغمر كل جزء من جسدها الصغير.

أخرجت "هيلينا" من حقيبتها قلمًا وورقة -حيث أعطاهما لها "آرثر"-، وشرعت تكتب في المنتصف:

"آرثر،

لا أعلم ماذا أكتب بالضبط لكني سعيدة بالقدر الذي لا أعرف كيفية التعبير عنها.

فزعني خطابك قليلًا لكنّه كان لطيفًا في الوقت ذاته.

أتمنى أن تعرف تقرأ خطي هذا.

تحياتي"

ثم طوت الورقة، ووضعتها تحت وسادتها ناوية أن تضعها تحت المنضدة صباحًا.

صبح الصباح، وصاح الديك، وشرعت الطيور تغرد، وغمرت الشمس أرجاء القصر.

استيقظت "هيلينا" مبتسمة من نومها ثم مدت يدها تحت وسادتها؛ كي تتأكد من وجود الخطاب، فوجدته بالفعل.

أخذت الخطاب، ونزلت السلالم ثم تركته لـ "آرثر"، وحينها التفتت، تفاجئت بـ "ماجي" تقف خلفها وتراقبها.

فتساءلت "ماجي" قائلة:

_ ماذا تفعلين يا هيلينا؟

= لا شيء.

_ رأيتك تخبئين شيئًا تحت المنضدة.

= أخبرتك لا شيء.

قالتها بغضب يصاحبه بعض التوتر ثم انصرفت، وبينما كانت تنصرف، شدتها "ماجي" من ذراعيها بقوة ثم سألت ثانية:

_ ماذا تخبئين يا هيلينا؟

فلم ترد عليها "هيلينا" ثم اقتطعت "ماجي" تلك الصمت بتفتيش ما تحت المنضدة، وظلّت تمد يدها وتحركها يمينًا ويسارًا حتى عثرت على وريقة، فأخرجتها متساءلة:

_ ما هذا؟

احمرّ وجه "هيلينا" ثم ردت عليها بتوتر قائلة:

_ هذه مقصوصة.

= أعلم أنها مقصوصة لكن ماذا تحوي؟

وبينما كانت تسأل ذلك السؤال، فتحتها ثم أردفت:

_ لا أستطيع القراءة.

عل كلٍّ، سأخبر يعقوب بها.

فصاحت "هيلينا" في وجهها، ومدت يديها؛ كي تأخذ الورقة منها، فعلى صوتهما، وشرعا يتشاجران حتى استيقظ كل من في القصر وكان من ضمنهم "يعقوب".

وقف "يعقوب" على مطلع السلالم متسائلًا بغضب:

_ ماذا يحدث؟

فردت عليه "ماجي" مسرعة قائلة:

_ هيلينا كانت تخبئ ورقة تحت المنضدة، ولا أعرف ما يُكتب بداخلها.

= اعطني إياها يا ماجي.

فأعطت "ماجي" الوريقة لـ "يعقوب"، وقرأها بصوت منخفض ثم نظر بحدة لـ "هيلينا"، وأمرها بأن تسبقه إلى غرفة العقاب.

انصرفت "هيلينا" تزرف الكثير من الدموع، فرآها "آرثر"، وقال مسرعًا:

_ أنا السبب.. أنا السبب.

فرد عليه "يعقوب" قائلًا:

_ أعلم ذلك. سأتخذ معك اجراءًا عقب هيلينا.

الفصل الرابع

دخل "يعقوب" غرفة العقاب، فوجد "هيلينا" جالسة على كرسي في الركن اليميني للغرفة تنتظره، فسألها:

_ هل كان آرثر يقوم بتعليمك ما يتعلمه؟

= نعم يا سيدي.

_ حسنًا! سأسمع منه، وأحكم عليكما.

ثم انصرف "يعقوب" متجهًا ناحية غرفة "آرثر"، دقّ الباب ثم دخل فجأة ليجد "آرثر" جالسًا على سريره منهمرًا في البكاء، فنظر له "يعقوب" بعطف ثم تمالك مشاعره، وعاد صامدًا مرة أخرى ثم سأله:

_ أكنت تعلمها ما تتلقاه مني؟

= نعم.

_ لماذا؟

= شعرت بأن عليّ أن أفعل ذلك.

ثم صمت "يعقوب"، وأردف:

_ أتحبها يا آرثر؟

= بتعريف الحب الذي علمتني إياه، فنعم أحبها.

ابتسم "يعقوب" لـ "آرثر" لفطانته ثم قال في قرارة نفسه:

"يعزّ عليّ كبت مشاعرك يا بني"

ثم قال بصوت عاليًا:

_ اسمع يا آرثر، سأتفقك معك على اتفاق، وإن خلفته، ستُطردا أنتما الاثنان.

= حسنًا! وما هو؟

_ ستظل "هيلينا" في البدروم علنًا أمام الجميع، وبينما هم

نيام تتراسلا الخطابات إلى قبل طلوع الشمس، تأخذهم وتستلمهم الجاريات، اتفقنا؟

= بالطبع! شكرًا لك.

حلّ الليل، فأخرج "آرثر" دفتره من الدرج الكعادة، وشرع يكتب:

" عزيزتي هيلينا،

أتعلمين ما الحبُّ؟

أنْ أبحثَ في الثمانيةِ وعشرين حرفًا ولا أجدُ ما أصفُ قلبي به حينَ فقطْ تبتسمين..

أنْ نتقاسمَ الخبزَ، ونتقاسمَ العالَمَ.

أنْ نتقاسمَ الألمَ.

أنْ نبني حياةً تحتوينا نحنُ فقطْ معْ مَن نُحبُّ.

أنْ نأمنَ بوجودِ الآخرِ مِنّا.

أنْ نواجهَ الحياةَ معًا.

ألا نخافَ غدًا.

أنْ نستطيعَ الحياةَ.

هلا نتقاسمُ الحياةَ سويًّا، يا حُلوتي؟

هلا يهدي كلا مِنّا للآخرِ جزءًا مِن عالَمِه؟

وبالمناسبة، لم يلقنني يعقوب تلك الكلمات بل شعرتها بطيف حبك.

المحبّةُ والسلامُ عليكِ!"

استلمت منه الخطاب "آر" -وهي إحدى الجاريات التي ائتمنها "يعقوب" على حفظ سر "آرثر" و"هيلينا"- وسلّمته لـ "هيلينا" في البدروم.

جلست تقرأه "هيلينا" وكان حاجبيها ينعقدان تارة، وثناياها تنفرج تارة أخرى، كانت تفهم بعض الكلمات

والبعض الآخر لا لكن لحدة ذكائها كانت تخمّن معاني الكلمات.

ظلّت تفكر في ماذا تكتب ثم شرعت تكتب:

"عزيزي آرثر،

أكتب لك أول خطاب من البدروم.

لا حديث أود إخبارك به سوى أني أخاف أن تنسيك قسوة المسافات أنا."

ثم طوت وريقتها الصغيرة كالعادة، ووضعتها تحت وسادتها.

كانا لا يفوتان ليلة وإلا تراسلا من خلال "آر".

خطاب يُبعث، وآخر يُسلّم.

وفي الليلة التالية كتب لها "آرثر":

"عزيزتي هيلينا،

إن كانت المسافات قادرة على نسيانك، فحبك سيدها."

ظلّ القصر هادئ، يمر يوم تلو الآخر بهدوء إلى أن دق جرس الإنذار في ليلة غائمة مليئة بالأمطار، كان البرق يضرب كل شرفات القصر، وكانت حوائطه ترتجف من شدة قوة صوت الرعد.

استيقظ الجميع من نومهم، واستيقظ "يعقوب" غاضبًا؛ فهو يعلم جيدًا عن ماذا ينم صوت الإنذار هذان فقد دخلا أحد الفتيان إحدى الغرف السبع المحرم دخولها.

عنّف "يعقوب" الشاب المدعو "نوح"، وقام بتوبيخه ثم على الفور طرده خارج القصر دون رجعة.

كان الجمع يتبادلون نظرات الخوف فيما بينهم، بينما كان يقف "كلارك" ثابت التعابير لا ينم وجهه عن خوف أو قلق.

وفي نهار يغمره ضوء الشمس كأن تتحدى الشمس ظلمة الفضاء، كان "آرثر" يجلس ملقَنًا درسه من "يعقوب"،

كان فرحًا ذلك اليوم بالتحديد؛ حيث أن درسه اليوم حرّك شغفًا بداخله كي يبعث بخطاب إلى "هيلينا"، فهو منذ يومين لم يرسل لها.

انتهى "آرثر" من درسه ثم ذهب مسرعًا إلى غرفته، وسرعان ما أخرج دفتره، وشرع يكتب:

"حبيبتي هيلينا،

تعلّمت اليوم اسماء الطيور، وكان هناك ما يسمى بالـ "عنقاء"، مذهل وجميل مثلك تمامًا.

تحياتي"

ثم وضعه في درج مكتبه حتى يأتي الليل، ويرسله مع "آر".

ثم خرج يمرح بالحديقه وحده، وفجأة سمع صوت من خلف الأسوار يناديه، فذهب يستمع من أين يأتي ذلك الصوت إلى أن وجد ثقب في بأحد الجدران يستطيع المرء

من خلاله أن يرى وجه الآخر.

دقق "آرثر" قليلًا إلى المنادي، فوجده رجلًا غير كاشف عن وجهه، فسأله "آرثر" في دهشة قائلًا:

_ من أنت؟

فرد عليه الرجل بعد أن صمت برهة قائلًا:

_ أنا هو أنت يا آرثر!

فزع "آرثر" وعاد خطوات للخلف ثم قال له:

_ ماذا؟

= نعم! أنا هو طيفك من المستقبل.

_ وكيف أنا بخارج القصر؟

وقبل أن يخبره الرجل، نادته إحدى الجاريات؛ كي يذهب يتلقى درسه مع "يعقوب"، فسألها أن تنتظر قليلًا ثم التفت إلى السور، ولم يجد الرجل.

ظلّ يدور في الحديقة؛ باحثًا عن أي ثقب آخر يستطيع من خلاله أن يراه ثانية ولكن دون جدوى.

كان "آرثر" في اليوم التالي يتلقى درسه من "يعقوب" وهو مشغول البال، وقد لاحظ ذلك "يعقوب"، فسأله قائلًا:

_ ما بك يا بني؟

= لا شيء.

ثم سكت برهة، واستأنف قائلًا:

_ هل سبق لك ورأيتك في المستقبل؟

فضحك "يعقوب" قائلًا:

_ كف عن المزاح يا آرثر.

فابتسم له "آرثر" ثم استكملا الدرس.

في غرفة مظلمة على ضوء خافت يصدر من لمبة مكتب، جلس "آرثر" يقرأ ما كتبت له "هيلينا"، فقرأ بصوت عالٍ:

" عزيزي أنا،

لم أخطأ في النداء بل قصدت ما كتبته.

سألت نفسي منذ قليل "إلى أين أتجه حينما أحزن؟"

ربما أتجه نحوك!

هلا تسمح لي بفتح شرفتك؛ كي أطل منها عليك؟ كي أسقط روحي لديك؛ تزرع فيها بعضا من ضيّك؟"

فخرج بدفتره، ورد عليها:

"شرفتي وإن فُتحت، فتُفتح فقط لكِ."

ظلّ يوم يمر كخفة الفراشات، وآخر كثقل العالَم، وظلّا الفتاتان يتراسلان كل ليلة، واحد يُبعث والآخر يسلم كالعادة.

يتلقى "آرثر" درسه ثم يهرول مسرعًا إلى غرفته يكتب إلى "هيلينا" ما تعلم، ويعبر لها عن مشاعره تجاهها بما تعلم ثم

تكتب له آخرًا تصف له امتنانها وحبها.

صارا الشابان سبعة عشر عامًا، صارا أنضج، صار الحب يتخلل روح كل منهما حتى تملّكهما..

وفي ليلة هادئة، ساطعة نجومها، والقمر على أشد سطوعه، جلس "آرثر" تحت ضوئه يكتب إلى "هيلينا" وهو منهمر في البكاء:

"عزيزتي هيلينا،

انتفض جسدي حينما رأيتك للمرة الأولى، لكنه لم يكن ذلك الانتفاض المرعب.. كان انتفاضًا آمنًا يليه بعض من الهيام.

قبلاتي لك حتى يشاء القدر التقاءنا."

ثم أغلق دفتره، وتنهد بيأس بعد أن مسح دمعه المنزرفه من عينيه المرهفتين.

ابتسمت "هيلينا" حين قرأت الخطاب ثم بكت، وبعدها

شرعت تكتب:

"عزيزي آرثر،

أتعلم؟ أتعجب أحيانًا من حالنا.. كيف لاثنين أن يهيما ببعضهما وهما لم يروا بعضهما إلا بضع مرات!

ثم أجيب عليّ بأن القلب قد ينتصر على العين.

أه، كدت أن أنسى.. كنت أود أن أسألك عما يعجبك بالقصر؛ فإني لم أستطع التشبع به؟"

راسلها "آرثر" بواحد كتب فيه:

" إلى محبوبتي الأبدية هيلينا،

تحية طيبة،

أما بعد..

جاءني خطابك البارحة وأنت تسأليني فيه عما يعجبني في القصر،

ظللت طوال الليل أتساءل عما أكتبه في خطابي لك!

أخاف أن تصيبك إجابتي بعضًا من الارتياب.

"كيف أصلًا يسأل المرء سؤالًا هو إجابته!"

لم تكن السماء برمتها كافية لتحليق "هيلينا" حينما قرأت خطاب "آرثر" التي لمست قلبها الصفير بصدق، فكتبت له:

"أنت تهزمني بكلماتك دومًا يا آرثر."

كاد قلبها أن يقفز من صدرها وهي تكتب له.

وظلّا هكذا يتبادلان الخطابات.

وظلّ آرثر لا يعرف كيف يخبرها على سر الرجل.

الفصل الخامس

الآن أتمم كلًّا من "آرثر" و"هيلينا" و"ماجي" عامهم العشرين.

صاروا فتيان ناضجين.

ظلّ كلا من "آرثر" و"ماجي" مطلق سراحهما، بينما ظلّت "هيلينا" في البدروم بالأسفل.

وأصبح "كلارك" رجلًا أربعيني لايزال لعوبًا.

وظلّت "آنا" تتسكع من مكان لآخر تكاد تفقد صوابها.

وظهر الشيب على "كيفن" -حارس القصر-

وظللن الحوريات كأنهن حوريات مدللين بالرغم من كبرهم.

أما يعقوب؟

فلايزال رجلًا مهيبًا لطيفًا قوي البنيان يتحدى الشيب.

كانت "ماجي" تجلس بجانب "كيفن" ثم طرحت عليه سؤالًا قائلة:

_ أيمكن أن أسألك سؤالًا يجول بخاطري منذ يومين؟

= بالطبع!

_ حسنًا! من أي ناحية نقرب ليعقوب؟ أنحن أحفاده؟

= آه، ذلك صعب للغاية يا فتاة.. لا أدري.

_ ومن يدري؟

فضحك "كيفن" قائلًا:

_ يعقوب فقط.

وبينما كانا يتسامران، خرج "آرثر"، وألقى عليهم التحيّة وهو يهرول إلى الجزء الخلفي من الحديقة حيث الثقب الذي

كان يرى من خلاله الرجل الغامض.

فسألت "ماجي" "كيفن" قائلة:

_ ما به؟

= لا أدري، ربما يبحث عن شيء.

سار "آرثر" مسرعًا ناحية السور؛ حيث أن الرجل يجيئه كل ليلة في ذلك التوقيت، وحينما وصل هناك، وجده بالفعل ينتظره، فسأله "آرثر" في عجالة قائلًا:

_ قل لي كنت بماذا تقصد بحديثك ليلة البارحة؟

ضحك الرجل بصوت عالٍ ثم أجابه قائلًا:

_ كنت أقصد بأنك ستُطرد خارج القصر ككل من سبقوك ومن سيلاحقوك.

= لماذا؟

_ هذه القوانين.

= ولماذا تأخرت عليّ كل تلك السنوات؟

_ لا يهم، ما يهم حقًا هو أني أخشى طردك من القصر أو بالأحرى أخشى طردنا نحن الاثنين من القصر حيث الهلاك.

= ماذا يمكنني فعله؟

وقبل أن يكمل حديثه، اختفى فجأة، فالتفت "آرثر" ليجد "ماجي" قادمة إليه تسأله قائلة:

_ أأنت بخير؟

= نعم.

_ سمعتك تتحدث، مع من؟

= لا، شيء سقط مني، وكنت أبحث عنه.

قالها وهو ينصرف، فاستوقفته "ماجي" قائلة:

_ ألن تبحث عنه؟

= لا يهم الآن.

_ ألم تقل أنه مهم لك؟

فصاح في وجهها قائلًا:

_ قلت لك بأنه أصبح غير مهم.

فتبلدت "ماجي" مكانها مندهشة من ردة فعل "آرثر"، وظلّت تحملق في ذلك الثقب ثم انصرفت.

ظلّ "أرثر" في حيرة من أمره، يجاهد تفكيره المستمر بإفشاء السر لـ "يعقوب"، يحاول أن يتجاوز يومه بثقل شديد.

يزور كل ليلة السور في الوقت الذي تعود من الرجل أن يجده فيه ولكن باءت محاولاته بالفشل.

ظلّ يتساءل عما يكون ذلك الرجل حقيقة أو لا.

أوهو بحق "آرثر" الكبير؟

أيكذب أم يقول الحقيقة؟

كلها كانت تساؤلات تجول بخاطر "آرثر" لم يجد لها إجابة، ولن يجد طالما لن يعثر على الرجل.

يتمنى "آرثر" لو كانت تأخرت "ماجي" دقيقة أخرى، لاستطاع أن يعرف أصل الأمر وماهيّته لكن كلها أمنيات ليس لها فائدة.

مرّ خمسة أيام ولم يبعث "آرثر" بخطاب لـ "هيلينا، فظنت أن الخصام تولى منصبه بينهما، فبعثت له بواحد مع "آر":

" عزيزي أنا،

أظنُّكَ أَلِفتَ تلكَ النداءَ..

"غلبني الشوق، وغلّبني"

لم أجد أفضل ما أفتتح به خطابي من جملة أم كلثوم هذه.

يمكنك الدهشة، كيف اشتياقك ونحن على خصام!

فالود غالب على الفراق..

لا تحسب عليّ تلك النص لكن "بخاف عليك، وبخاف تنساني".

أخاف أن يطول بيننا النزاع، فأُنسى وتعتاد الغيبة..

الأحبّة بالغيبة ينسون الأحباب..

موحشة فكرة الغياب، أليس كذلك؟

أُناديك بالرجوع؛ فالساكن لا يهدأ إلا بوطنه، ووطنك لا يأمن إلا بساكنه..

كن بعودة ساكنة!

كن بخير!"

استلمته منها "آر"، ثم اتجهت ناحية غرفة "آرثر" مسلمة إياه.

فتحه "آرثر"، وقرأ ما به ثم فرّت من عينيه دمعتان لكن

سرعان ما تمالك نفسه، وألقى بالخطاب في درج مكتبه.

ثم كتب لها:

"عزيزتي هيلينا،

العالَم وحش قاسٍ ومخيف بدونك يا هيلينا.

فإني هائم في وديان الفؤاد، سالٍ عن ملتقى خليله."

وبينما الناس نيام، كانت ترتجف "هيلينا" من شدة الخوف من ظلمة البدروم ووحشته، فقررت أن تكتب لـ "آرثر"؛ فلا شيء يمكنه أن يقلل حدة مخافتها سوى الكتابة له، وشرعت تكتب:

" عزيزي آرثر،

كنت أرتجف خوفًا منذ قليل..

فكّرت فيما يمكنني فعله؛ كي أحدّ من ذلك القلق، ووجدت أن رؤياك وحده يمكن أن يقلل من روعتي.

وكيف السكون والمعشوق مفارق!"

وبينما كانت تكتب له باكية، اهتزت أرضية البدروم بها وسرعان ما دق جرس الإنذار، فأمر "يعقوب" الجمع بالاتجاه نحو البدروم.

أسرع الكل في فزع شديد متجهين إلى البدروم حيث "هيلينا" تسكن ثم قاموا بأغلاق الباب، وتركوا "يعقوب" يتولى الأمر.

فتساءل الصغار عما يحدث؛ فهم لم يشهدوا حدث منذ هذا منذ ولادتهم.

أجابتهم أحد الجاريات بأن أحد آلهة العوالم الأخرى المنافس لـ "يعقوب" يقوم بالهجوم على القصر كل عقدين؛ ليستولى عليه ثم تقام حرب بينه و"يعقوب".

وبينما كانوا يستفسرون عن الأمر بخوف، كان "يعقوب" يستعد بمطرقته التي تستطيع أن تزلزل الأرض وتفنى من

عليها.

دق "يعقوب" مطرقته العظيمة، فاهتزت له السماء، وتذبذبت الأرض، وصدر برقًا يكاد يعمي الناظر له.

كانوا يمسكون بأيديهم؛ خوفًا من أن يُزم "يعقوب" تلك المرة، وكان "آرثر" يمسك بيد "هيلينا" بقوة ثم سألها قائلًا:

_ أَهَواك دائم؟

فردت عليه ببعض من الفزع والاطمئنان قائلة:

_ أهْواك دائمًا.

ثم رحل عنهم ذلك الملعون بعد ساعة كاملة من الشجار، فأمر "يعقوب" بالخروج من البدروم عدا "هيلينا".

الفصل السادس

أسبوع مرّ من الانتظار والحيرة إلى أن أتى الرجل في اليوم الثامن، والتقى بـ"آرثر"، فسأله "آرثر" قائلًا:

_ أين كنت؟ لماذا تتأخر؟

= أخبرتك بأنه لا يهم.

_ يإذًا أخبرني ما المهم.

= حسنًا! أخبرتك أنك سوف تُطرد خارج القصر يومًا ما، وأنا هو أنت.

_ هذا عرفته، ما يمكنني فعله؟

= سؤال صائب، إذا دخلت إحدى الغرف الغير مسموح بها، ستنجو.

_ ولكن كيف؟ من يدخل إحداه، يُطرد على الفور!

= لكن ليس كلهم آرثر.

_ وما الذي يميّزني؟

= والدتك!

قالها، واختفى فجأة كأن لم يكن له وجود سوى في عقل "آرثر".

حلّ الليل، وها هو "آرثر" يجلس على كرسيه حائرًا يهيم على وجهه، وها هو "كلارك" يتجول في حديقة القصر ليفاجئ بما لم يكن يتوقعه.

لقد رأى "يعقوب" وهو يسلّم حفنة من الطعام لـ"كيفن"، فتتبعه حتى رآه يسلمها لوالدة "آرثر" من الثقب الموجود في السور.

دُهش "كلارك" ثم هرول إلى غرفة "يعقوب"، دقّ الباب، فأمره "يعقوب" بالدخول.

سأله "كلارك" قائلًا:

ـ لمن كنت تختزن الطعام في غرفتك؟

= لي.

ـ أيمكن أن يكذب الرب على عبده؟

= ماذا تقصد؟

ـ أكنت تختزنه؛ كي تطعم والدة "آرثر" خارج القصر؟

= من أين لك بهذه المعلومات يا كلارك؟

ـ رأيتكم.

فصمت "يعقوب" ثم أردف:

ـ كان أهون لي بأن تصدق أني ارتكبت إحدى الخطايا السبع التي هي الجشع وأني كنت أختزن الطعام لنفسى على أن تعتقد بأني أعطف على حبيبتي.

= ماذا؟ حبيبتك؟

_ نعم.

= أتفضّل أن تكون مذنبًا على أن تعترف بتيمك؟

_ لا يُسمح للآلهة بالحب من عبادهم.

= وإن فعلوا؟

_ ما قصدك؟

= قصدي أنهم إذا فعلوا، يُحاسبوا.

_ ومن يحاسبهم؟

= عبادهم.

فوبخه "يعقوب" على حديثه، وأمره بالانصراف، وألا يخرج بتلك الكلمات من فمه لأحد وإلا طرده.

ظلّ آرثر في غرفه أيامًا متحيّرًا إلى أن فكّر أن يراسل "هيلينا" ويفشي بالسرّ، فكتب لها:

"عزيزتي هيلينا،

اعذريني على عدم مراسلتي لك. إنما أنا متحير وهائم، لا أتقن التصرّف.

كان يتردد عليّ منذ فترة رجل يدّعي بأنه طيفي من المستقبل -واعذريني أيضًا على عدم إخبارك بذلك-، أخبرني بأني سوف أُطرد من القصر بدون سبب، وإن اقتحمت إحدى الغرف السبع المحرمة، سوف أنجو.

في حقيقة الأمر، لقد فكّرت، واتخذت قرارًا ألا وهو أني سأفعلها لكن لا أود أن أفعلها وحدي، أسترافقيني؟

على كلٍ، سأفعلها تلك الليلة قبل طلوع الشمس، سأنتظرك عند مطلع الطرقة المؤدية لهن.

تحيّاتي لك حتى نلتقي."

ثم سلّم الخطاب لـ "آر"، وأكد عليها بألا تفتحه، وتسلّمه لـ "هيلينا" في يديها فقط وليس لأحد آخر.

كانت تمر الساعات كالسنوات العجاف على "آرثر" حتى

سنحت له الفرصة أخيرًا، فنهض من سريره، واتجه ناحية الطرقة.

انتظر بضع دقائق حتى تأتيه "هيلينا" لكنها لم تأتِ.

قرر دخول أول غرفة تقابله وحده، وبينما كان يسير على أطراف أرجله بحذر وحرس شديدين، أمسكه من ذراعه شخص، فالتفت ليجدها "هيلينا"، فابتسم لها قائلًا:

_ كنت أعلم بأنك لا تخذليني.

= بالطبع!

ثم سارا سويًّا الطرقة بأكملها حتى وصلا لأول غرفة منهم وكان مكتوب عليها "سيسو"، نظرا لبعضهما ثم قام "آرثر" بفتح الباب، ومن ثم دخلا، وأغلقا الباب خلفهما.

وإذ يروا نفسهما عرايا!

تخلخل بجسدهما برودة، وتسربت النشوة إلى روحهم، فاعترتهم الشهوة، وتجامعا..

وسرعان ما دق جرس الإنذار، وأسرع كل من في القصرح ليروا من قرر المغامرة تلك المرة.

فتح "يعقوب" الغرفة بعنف، فعاد خطوات للخلف من هول المفاجأة إلى أن اصطدم بالحائط ثم تساءل متعجبًا:

_ حتى أنت يا آرثر

كان الرجل الغامض يتصنت لحديثهم، وحينما سمع صوت "يعقوب" يأمرهما بالخروج من القصر، كشف عن وجهه حتى وضح وجه "آنا"، وحول رأسها حيّاتها السبع!

فابتسمت ابتسامة نصر ثم تسللت إلى القصر خلسة.

استعد "آرثر" و"هيلينا" للمغادرة، وبينما كانا يغادران القصر، نظر "آرثر" إلى "كيفن" ثم قال له:

_ ما هويت إلا حينما هويت يا كيفن.

فغضب منه "كيفن" قائلًا:

_ الهوى لا يهوى بالمرء يا بني، وإنما هي الشهوة..

غمر القصر هدوء لكنه لم يكن الهدوء الآمن، كان هدوء يليه الكثير والكثير من العواصف.

جلس "يعقوب" منكسِ الرأس على كرسيه المفضّل في غرفته، خلفه شرفته.

كانت تهتز الستائر بعنف، وتلاطم الرياح بعضها، وفجأة أصدر "يعقوب" صوت حشرجة ثم التفت خلفه، وإذ به يرى "آنا" تطعنه من خلفه،فهوى أرضًا.

وفي مشهد سريالي، تنهار أعمدة القصر الشاهقة، ويرتجف العالَم، ويفنى كل من به، وتحيل الحياة إلى الظلمة الأبدية..

فقد مات الإله..

النهاية..